****

**التحولات والمشاريع الاقليمية في الشرق الأوسط وتداعياتها على القضية الفلسطينية**

**أ. رائد نجم[[1]](#footnote-1)\***

المقدمة

يعيش إقليم الشرق الأوسط حالة من عدم الاستقرار دفعت المنطقة الى مزيد من الصراعات المستمرة والحروب الاهلية، وحالة من السيولة الأمنية والسياسية المستمرة نتيجة لمجموعة من الأسباب يأتي في مقدمتها استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية ورفض إسرائيل للالتزام بالاتفاقيات الموقعة وقرارات الشرعية الدولية؛ وتنافس إقليمي يتضمن سعي أكثر من قوة إقليمية للهيمنة الإقليمية وهي تركيا وايران وإسرائيل خاصة بعد اسقاط العراق كصاعد عربي إقليمي موازي لهذه القوى، وتنافس اقليمي مكثف ليس فقط بين إيران والسعودية، ولكن أيضًا بين قطر وتركيا من جهة والإمارات ومصر والمملكة العربية السعودية من جهة أخرى؛ وغياب نظام إقليمي يشمل مؤسسات واتفاقيات وترتيبات إقليمية تنظم العلاقات الإقليمية مما يؤدي إلى سباق تسلح وتوازن قوى وحرب عنـد اخـتلال ذلك التوازن؛ وعجز الأنظمة الإقليمية الفرعية فيه مثل الجامعة العربية ومجلس التعاون الخليجي عن بناء استراتيجية إقليمية تقوم على التوحد في تحديد مصادر التهديد وطبيعة مواجهتها، ويعود ذلك لسبب رئيسي يتمثل في دور القوى الكبرى في إعاقة ذلك وتحديداً الولايات المتحدة الامريكية التي انفردت بالإقليم منذ انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي.

وقد شهد الواقع الجيوسياسي للإقليم تطورات جديدة خلال السنوات الأخيرة تمثلت في بروز الدورين الاماراتي والسعودي، ودخول روسيا للإقليم وقيام اربع دول عربية بتطبيع العلاقات مع إسرائيل دون حل القضية الفلسطينية، وتمدد إيران في أربع دول عربية، وانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي وزيادة ايران لكمية ونسبة تخصيب اليورانيوم. وانهاء الخلاف الخليجي مع قطر، وتواجد تركي في ليبيا وسوريا والعراق وقطر، وتبريد للصراع في ليبيا بين تركيا وجمهورية مصر العربية، وتراجع تركي عن سياسات التصعيد في المنطقة وتحول بعض دول المنطقة الى دول فاشلة بسبب الاقتتال الداخلي، وجائحة كوفيد 19 واثارها التي تسببت في الانخفاض الحاد في أسعار النفط ما جعل المنطقة في وضع أسوأ على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي مما كانت عليه قبل أربع سنوات.

ومع ذلك ما زالت القضية الفلسطينية تمثل المصدر الرئيسي للتوتر الإقليمي في جميع أنحاء الشرق الأوسط لأكثر من قرن. وسيستمر الفشل في حل قضية فلسطين في التأثير على استقرار المنطقة ودينامياتها الجيوسياسية وتشكيل الرأي العام وخيارات القادة العرب. وقد عجزت عملية السلام التي بدات في أوسلو في تحقيق سلام عادل ومستدام في إطار "حل الدولتين". وأدى هذا الفشل إلى تصعيد المشاكل الإقليمية العالقة (مثل جنوب لبنان ومرتفعات الجولان واللاجئين واستمرار الصراع في فلسطين نفسها) وظهور تحديات وأطر جديدة (مثل محور المقاومة وحركة المقاطعة).

أولاً: القضية الفلسطينية في ضوء التحولات الإقليمية والدولية

قبل ثلاثين عامًا، كان مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط يهدف إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي وبدأت معه عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية. وبعد ثلاثة عقود، خضع العالم والمنطقة لتغييرات تكتونية، لا تشبه إلى حد كبير ما حدث عام 1991 عندما اقتربت الحرب الباردة من نهايتها. ومع ذلك، لا يزال الصراع يراوح مكانه في ظل اتجاهات عالمية وإقليمية متغيرة لم تسهم في دفع الصراع الى نهايته، الامر الذي يبقي الباب مفتوحاً أمام مزيد من المواجهات والتصعيد.

1. **التحولات على الساحة الفلسطينية**

أدت الانقسامات السياسية بين الفصائل المتناحرة إلى تشتيت انتباه القادة الفلسطينيين وأدت إلى تآكل الدعم لقضيتهم. فقد طغى الانقسام على العلاقات الفلسطينية الداخلية بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس. وتعزز هذا الانقسام في عام 2007 بعد سيطرة حماس العسكرية على القطاع رغم وجود حكومة وحدة وطنية "الحكومة الحادية عشر". وقد سبق ان شكلت حماس بمفردها الحكومة العاشرة بعد فوزها في الانتخابات عام 2006 ولكنها عجزت عن الاستمرار بسبب عدم قدرتها على التجاوب مع الشروط الدولية للتعامل معها بالاعتراف بإسرائيل وبقرارات الشرعية الدولية والاتفاقيات الموقعة. كانت النتيجة النهائية الفعلية انقسام في الجغرافيا والديموغرافيا والقيادة الفلسطينية وتآكل أي وحدة فلسطينية حتى يومنا هذا.

واصلت إسرائيل فرض حصارها على قطاع غزة مما جعل الظروف هناك "غير قابلة للعيش" بشكل متزايد. واستمرت في حصار السلطة الفلسطينية في الضفة من خلال الحواجز والاستيطان الذي حول الضفة الى معازل متفرقة. وتضاعفت الآثار المدمرة للحصار مع الحروب الإسرائيلية الاربعة ضد غزة في 2008-2009، و 2012 و 2014 و 2021 والتي تسببت في مقتل الآلاف وتدمير مدنها وبنيتها التحتية. وسط كل هذا ترفض حماس تمكين الحكومة الفلسطينية فعليا في قطاع غزة وتصر على وجود حكم مواز باسم المقاومة مما يجعل أي مصالحة مع السلطة الفلسطينية أكثر صعوبة [[2]](#footnote-2). وتسبب ذلك في حالة من الإحباط تجاه سياسات وممارسات حماس، من قبل عدة دول عربية بما في ذلك المملكة العربية السعودية، دولة الإمارات العربية المتحدة، وحتى مصر في مواقف محددة [[3]](#footnote-3).

أدى تأجيل الانتخابات الفلسطينية المقرر إجراؤها في 22 مايو / أيار إلى مزيد من فقدان الشرعية بين الجمهور الفلسطيني المحبط بالفعل، فقد تجاوزت المؤسسات الفلسطينية صلاحياتها الانتخابية وفقًا للقانون الأساسي الفلسطيني، والذي بموجبه يجب على الفلسطينيين تنظيم انتخابات رئاسية وتشريعية وطنية كل أربع سنوات، وتعقد المشهد الانتخابي وفرصة تجديد شرعية المؤسسات برفض إسرائيل اجراء الانتخابات في مدينة القدس مما يبقي المأزق الفلسطيني الداخلي قائماً والذي توظفه إسرائيل في رفض العودة للعملية السياسية وإنجاز السلام، ومن هنا يأتي تمسك إسرائيل بإفشال أي تقارب جاد بين السلطة الفلسطينية وحماس من خلال اليات متعددة [[4]](#footnote-4). ويضعف استمرار الانقسام دون تحقيق الوحدة والديمقراطية والمساءلة، من قدرة الفلسطينيين من مواجهة التحدي الهائل المتمثل في إنهاء الاحتلال.

1. **التحولات الاقليمية**

في المنطقة، تسببت موجتان تاريخيتان من الثورات العربية في إحداث الفوضى. لقد أدت إلى المنافسة الجيوسياسية بين القوى الإقليمية. تسببت في صراعات مدمرة وحروب أهلية وحروب بالوكالة ؛ حثت على التدخلات العسكرية من قبل القوى الإقليمية والخارجية؛ وتسببت في فقدان عدد قليل من البلدان احتكارها للقوة والسيطرة على أجزاء من أراضيها. والمزيد من الناس في المنطقة ينظرون إلى عالمهم من منظور طائفي أو عرقي أو قبلي، والتطرف آخذ في الارتفاع مما يؤدي إلى مزيد من التوترات وعدم الاستقرار. وتفوق هذه التحديات قدرة المنطقة على تحملها، لا سيما عندما يتفاقم الوضع بسبب الوباء والركود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. بالإضافة الى ذلك المؤسسات الإقليمية في حالة من الفوضى، والمصالح المتباينة في عالم عربي منقسم أدت إلى تنافسات معقدة. ونتيجة لذلك، أعادت دول المنطقة ترتيب أولوياتها بشكل كبير، ولم تعد القضية الفلسطينية الأولوية التي لا جدال فيها كما كانت في السابق، مع احتلال التهديد الإيراني مركز الصدارة [[5]](#footnote-5).

عانت القضية الفلسطينية من مزيد من التهميش نتيجة هذه الاضطرابات، وتغير أولويات الدول العربية القيادية، وصعود إيران كتهديد رئيسي، لا سيما بالنسبة للخليج، فقد فوجئت القيادة الفلسطينية في الضفة الغربية بتوقيع اتفاقيات إبراهيم بين إسرائيل والإمارات والبحرين، ثم الاتفاقيات الإسرائيلية اللاحقة مع المغرب والسودان. وبرزت مخاوف أن يكون العالم في طريقه إلى تجاهل مكانة إسرائيل كقوة محتلة، وبالتالي، القضية الفلسطينية. وبدأ يلوح قي الأفق تحالف محتمل بين المملكة العربية السعودية وإسرائيل ضد إيران، أسست له اتفاقيات التطبيع في زمن إدارة ترامب، وعداء ترامب لإيران والاتفاقية النووية التي أبرمها سلفه باراك أوباما مع طهران. ومع ذلك، وضعت المملكة العربية السعودية شرطاً مسبقاً لهذا التحالف بإيجاد حل للقضية الفلسطينية.

على الرغم من حقيقة أن السياسات الأمريكية بشأن فلسطين قد أدت حتى الآن إلى تآكل أي فرصة ضئيلة للتوصل إلى مثل هذا الحل الهادف، خاصة في زمن إدارة ترامب التي قدمت صفقة القرن باعتبارها الحل المنشود والقائم على انشاء مجموعة معازل سكانية دون القدس والاغوار ودون سيادة او موارد. ولكن إدارة بايدن ادركت ان الصفقة لن تنهي الصراع ليس فقط بين إسرائيل والفلسطينيين، ولكن أيضًا العالم العربي بأسره. فهي لا تحقق تطلعات الفلسطينيين في تقرير المصير والاستقلال، انما تقدم تحصيناً لمخاوف إسرائيل بشأن تهديد نووي إيراني متخيل أو حقيقي من خلال التحالف مع المملكة العربية السعودية. إن ربط القضية الفلسطينية بصفقة إقليمية من شأنه أن يؤدي إلى توسيع تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية، وبالتالي السماح ببناء تحالف عربي إسرائيلي ضد إيران باعتبارها الاولوية، مما سيؤدي الى تراجع القضية الفلسطينية وتقديم حلول ادنى من تطلعات الشعب الفلسطيني. وهذا من شأنه بالتأكيد أن يخدم الأجندة الإسرائيلية ويضعف الفلسطينيين [[6]](#footnote-6).

1. **التحولات الدولية**

انعقد مؤتمر مدريد في عالم أحادي القطب، بينما نشهد اليوم منافسة متجددة بين القوى العظمى بنكهة الحرب الباردة. وقد حدد الرئيس أوباما هدف انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة لمواجهة التحديات القادمة من الصين وروسيا، ولكنه توقف في محطتين هامتين في المنطقة، الأولى هي ما عرف بـثورات الربيع العربي، والثانية هي التعامل مع احد نتائجه وهو صعود الجماعات المتطرفة، وقد ساهمت الاستراتيجية الامريكية في المنطقة بقوة في ظهور هاتين المحطتين. واستمر هذا الاتجاه الانسحابي من المنطقة في عهد الرئيس ترامب، واتبع الرئيس بايدن الآن نفس المسار وقام بسحب القوات الامريكية من العراق ثم أفغانستان في أغسطس الماضي. وفي انسحابه من المنطقة يحاول بايدن تجنب الخسائر الجيوسياسية مع قيام روسيا والصين بتوسيع نفوذهما ومتابعة مصالحهما في جميع أنحاء الشرق الأوسط حتى لا تقومان بملء الفراغ الامريكي. وقد عرضت كلا من روسيا و الصين على حد سواء استضافة لقاء بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وهذا يبرهن على وجود تحد لدور الوسيط المهيمن الذي تلعبه الولايات المتحدة. في غضون ذلك، مع احتدام القتال بين إسرائيل وحماس في مايو الماضي، انتهزت الصين الفرصة لاتهام الولايات المتحدة بعرقلة جهود مجلس الأمن الدولي لاتخاذ إجراء بشأن النزاع، حيث عارضت واشنطن ما اعتبرته بيانًا غير متوازن يدعو إلى وقف اطلاق النار ومنعت المجلس من اتخاذ أي إجراء.

ويركز العالم حالياً، وربما خلال السنوات القادمة على التعافي بعد الجائحة. هذا بالإضافة إلى مجموعة من التحديات الموجودة مسبقًا والمتشابكة أحيانًا من النزاعات والأزمات الإنسانية إلى نمو القومية المتطرفة والإرهاب والتطرف؛ تغير المناخ؛ الأمن الإلكتروني؛ نزوح السكان؛ وضعف المؤسسات المتعددة الأطراف. وفي حين أن هذا قد يشير إلى أن المجتمع الدولي سوف يصرف انتباهه عن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لدرجة أن الأطراف يمكن أن تبتعد عن العمل كالمعتاد، إلا أنه قد يؤدي أيضًا بالحلفاء والداعمين التقليديين لإسرائيل والفلسطينيين إلى عدم إعطاء الأولوية للدعم الدبلوماسي والسياس والاقتصادي. علاوة على ذلك، شهد العالم صعود "قوة الشعوب"، حيث انطلقت مظاهرات شعبية واسعة النطاق ضد الحرب الأخيرة على قطاع غزة تدعو إلى التغيير في جميع أنحاء العالم، من حملة "أنا أيضاً" (MeToo) المدعومة عالميًا، إلى حركة "حياة السود تهم" (Black Lives Matter) التي وجدت أيضًا صدى خارج الولايات المتحدة، وجاءت هذه التظاهرات على خلفية أربعة تطورات رئيسية:

* فتح تحقيق من جانب لمحكمة الجنائية الدولية بشأن "الوضع في فلسطين"، بدأ في مارس / آذار 2021 للنظر في إمكانية ارتكاب كلا الجانبين لجرائم حرب، وصدور بيان عن المدعي العام للمحكمة بأن هناك أساسًا معقولاً للاعتقاد بأن جرائم الحرب قد تكون ارتكبت مرة أخرى من قبل الطرفين في حرب عام 2021.
* اصدار هيومن رايتس ووتش تقريراً يتهم إسرائيل بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في معاملتها للفلسطينيين تصل إلى حد الفصل العنصري، بعد مزاعم مماثلة من قبل منظمة غير حكومية إسرائيلية لحقوق الإنسان . وفي حين رحب الفلسطينيون بهذا التقرير، فان إسرائيل، والولايات المتحدة وغيرها من ومن أعضاء المجتمع الدولي رفضوا التوصيف. وحذر آخرون من ذلك باعتباره احتمال مستقبلي. ويعكس هذا اتجاهاً متنامياً في نظرة دعاة حقوق الإنسان إلى الصراع.
* تهديد الاتحاد الأوروبي بوقف التمويل عن السلطة الفلسطينية في ظل انتقادات توجه لها، وتوقيع اتفاقيات التطبيع بين إسرائيل وأربع دول عربية، والتي لا تزال على قيد الحياة، على الرغم من الأعمال العدائية الأخيرة.
* لم تعد إسرائيل تتمتع بنفس المستوى من الدعم الأمريكي من الحزبين الذي تتمتع به منذ عقود.

1. **التحولات على الساحة الاسرائيلية**

* أجرت إسرائيل أربع انتخابات غير مسبوقة غير حاسمة في غضون عامين ومن المرجح أن تتجه إلى الخامسة. جرت هذه الانتخابات على خلفية محاكمة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بالفساد، مما دفعه لمحاولة أي شيء للبقاء في السلطة. لقد دمرت الحرب على غزة تقريبا إمكانية معارضيه لتشكيل حكومة.
* ولكن سواء أقنع نتنياهو عددًا كافيًا من الإسرائيليين بحمايتهم من حماس أم لا، فهناك اعتراف بأن الصواريخ من غزة قد تحسنت من حيث المدى وقوة النيران والدقة منذ الحرب الأخيرة، على الرغم من أن إسرائيل لا تزال تحتفظ بتفوق عسكري ساحق. بعد استهدافها من قبل حماس، اضطرت إسرائيل إلى إغلاق مطار بن غوريون ووقف إنتاج منصة الغاز البحرية التابعة لها. هذا لا يبشر بالخير لاحتمال المواجهات العسكرية في المستقبل. وقد اعلن نتنياهو عن نجاح العملية من خلال القول إن العملية حققت أهدافها وأضرت بقدرة حماس على إطلاق صواريخ على إسرائيل ودمرت شبكة الأنفاق الواسعة ومصانع الصواريخ. في غضون ذلك، شكك النقاد في هذا الوصف والمنطق على أنه عملية عسكرية، حيث اعتبرها بعض المعارضين التقليديين للحكومة "أكثر عمليات غزة فاشلة وعديمة الجدوى على الإطلاق".
* هناك محللون يرسمون صورة شاملة قاتمة لإسرائيل عند التفكير في جبهاتها الأخرى. بعد سنوات من وصول حزب الله إلى قدرة ردع مفاجئة في حربه عام 2006 مع إسرائيل، حذر الميجر جنرال أوري جوردين من الجيش الإسرائيلي من أنه في الأيام الأولى من الحرب المستقبلية مع حزب الله، ستضرب إسرائيل 2000 صاروخ يوميًا (حوالي 3970 صاروخ اطلقت خلال حرب 2006 بأكملها). كان لدى حزب الله ما يقدر بـ 13000 صاروخ في عام 2006 ويعتقد الآن أنه يمتلك 130.000 إلى 150.000 صاروخ، بما في ذلك الصواريخ بعيدة المدى التي يمكن أن تصل إلى أي مكان في إسرائيل والتي من المحتمل أن تطغى على نظام القبة الحديدية الدفاعي الإسرائيلي.
* إضافة إلى التهديدات التي تواجه إسرائيل، من المرجح أن تسعى إيران إلى فرص لاتخاذ إجراءات انتقامية بعد مزاعم موثوقة بأن إسرائيل اغتالت عالمًا نوويًا إيرانيًا بارزًا وجميع الادعاءات المؤكدة بأنها كانت وراء هجوم إلكتروني على المنشأة النووية الإيرانية الرئيسية . وبدعم إيراني، عطل الحوثيون ما يقرب من نصف صادرات السعودية النفطية . وهذا يشير الى ان قدرات حزب الله والحوثيين ستصل إلى غزة عاجلاً أم آجلاً.
* بعد هذه الحرب الأخيرة، يجادل البعض بأن التهديد الوجودي الحقيقي لإسرائيل هو المواجهات بين اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين في الداخل. يبدو أن النسيج الأخلاقي للمجتمع الإسرائيلي مهدد بصورة لم تشهد خلال الحروب السابقة، حيث شهد الإسرائيليون حرق المعابد اليهودية، واستهداف منازل العرب، والهجمات الشرسة من قبل أفراد كل مجتمع على الآخر، وتدمير الأعمال التجارية التي يملكها الطرفان. مع تصاعد العنف، حذر الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين من حرب أهلية إسرائيلية. كل هذا يحدث في وقت استنتج فيه المزيد والمزيد من الناس أن الصراع قد وصل إلى نقطة اللاعودة، مما يجعل حل الدولتين شبه مستحيل [[7]](#footnote-7).

ثانياَ: التحديات في الشرق الأوسط

يبدو أن موجة من التحدّيات تواجه الشرق الأوسط، وتتمثّل بالإرهاب والتطرّف والحرب الأهلية والتدخّل الأجنبي والطائفية والفساد والسلطوية. كما تعيش المنطقة حالة من الاضطرابات المستمرة يتعرض فيها نظام الدولة القومية في العالم العربي منذ عقد للهجوم من الداخل من القوى القبلية والطائفية وقوى التغيير الاجتماعي والاقتصادي، واقتتال داخلي تسبب في تحول عدد من دول المنطقة الى دول فاشلة. الى جانب عدم استقرار ناتج عن الركود الاقتصادي، والانتفاخ الشبابي الهائل، والحكم الفاسد، والنشاط المستمر للجماعات المتطرفة. وجائحة كوفيد 19 واثارها التي تسببت في الانخفاض الحاد في أسعار النفط ما جعل المنطقة في وضع أسوأ على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي مما كانت عليه قبل أربع سنوات مما يجعل عدد من دول المنطقة أكثر اعتماداً على الدعم الخارجي. وأدت الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة، المصحوبة بمزيد من الحريات المحدودة وانتهاكات حقوق الإنسان في العديد من البلدان، والعلاقات المتوترة بين الشعوب والحكام إلى موجة جديدة من الاحتجاجات طالت لبنان والجزائر والعراق والسودان. وتبدو المنطقة عالقة في نزاع مطول على السلطة بين المجتمعات والسلطة السياسية قد يستغرق حله جيلاً كاملاً.

تأتي الكثير من المشكلات التي تؤثر على الشرق الأوسط نتيجة مفاقَمة مقصودة للتوترات الإقليمية الموجودة مسبقاً. وقد استغلت الولايات المتحدة وبريطانيا، تقليدياً، الانقسامات الطائفية، والتوترات العرقية والعنف الداخلي في أجزاء مختلفة من العالم، بما في ذلك أفريقيا وأميركا اللاتينية ومنطقة البلقان والشرق الأوسط. ويشكل العراق مثالاً واحداً من أمثلة كثيرة على استخدام الاستراتيجية الأنجلو-أميركية: “فرق تسد”. ومن الأمثلة الأخرى رواندا، ويوغسلافيا، والقوقاز وأفغانستان.

يشير تقرير أطلقته مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي في واشنطن إلى أن العقود القليلة الماضية شهدت في غالبية الدول العربية ظهور "المساومات الاستبدادية"؛ أي الخدمات الاجتماعية والوظائف الحكومية مقابل السكوت. ويقول التقرير الذي يتحدث عن التحديات الكبرى التي تواجه المنطقة والحلول الممكنة، إن نظاما قديما ينهار في المنطقة من دون أي تصور حول ما قد يأتي لاحقا. ويتحدث التقرير عن أربعة تحديات كبرى تواجه المنطقة: الصراعات الإقليمية التي سببت انهيارا تاما لمؤسسات الدولة وموجات هجرة غير مسبوقة؛ وعدم وجود أنظمة تستند إلى القوانين؛ وعدم قدرة الاقتصادات العربية على خلق عدد كاف من الوظائف؛ وتعامل عدد كبير من الدول العربية مع مواطنيها على أنهم "تهديد لها" وليسوا مصدر قوة يمكن الاعتماد عليه. وترى مؤسسة كارنيغي في تقرير أصدرته بعنوان "العقبات والطريق إلى الإصلاح" ان السلام مبني على فرضية أن الدولة والمواطن في العالم العربي بحاجة إلى عقد اجتماعي جديد، ويقترح إطارا لسياسات جديدة في خمسة مجالات هي الاقتصاد السياسي، الحوكمة، التعليم، اللاجئين، والصراعات الإقليمية [[8]](#footnote-8).

ومن بين المشكلات القائمة في الشرق الأوسط المعاصر، ثمة الافتقار إلى الديمقراطية الحقيقة، التي كانت السياسات الخارجية الأميركية والبريطانية تعمل على عرقلتها بشكل متعمد. وأصبح تحقيق “الديمقراطية” على النمط الغربي مطلوباً فقط في تلك الدول الشرق أوسطية التي لا تنصاع لمطالب واشنطن السياسية، وما تزال تعمل بثبات كذريعة للمواجهة. وثمة الكثير من الدول غير الديمقراطية التي ليست لدى الولايات المتحدة مشكلات معها، لأنها مصطفة بحزم في داخل المدار الأنجلو-أميركي.

ويركز تقرير قدمته مجموعة عمل استراتيجية الشرق الأوسط التابعة للمجلس الأطلسى، وبالتعاون مع مؤسسة بروكنجز، بعنوان: «الأمن والنظام العام»، والذي استعرض التقرير أبرز التهديدات فى منطقة الشرق الأوسط، والسياسات التى يمكن اتباعها لمواجهة هذه التهديدات على خمسة تحديات كبرى تواجه الشرق الأوسط:

**أولاً: الصراع العربى - الإسرائيلى**

على مدار سنوات طويلة، ظل الصراع العربى - الإسرائيلى القضية المحورية، التى تستحوذ على اهتمام المعنيين بشئون المنطقة، بيد أنه منذ عام 2011 تراجع هذا الاهتمام بعض الشىء. ويؤكد التقرير ضرورة إعادة الاهتمام بهذه القضية، لا سيما من جانب الدول الغربية التى تتعرض للمقاطعة الاقتصادية، وسحب الاستثمارات العربية منها بسبب دعمها إسرائيل.

ويرى التقرير أن الفترة الحالية تعد الأكثر ملاءمة للتوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربى - الإسرائيلى؛ حيث إنه فى الفترة الأخيرة شهدت كل من حركتى حماس وحزب الله تراجعاً واضحاً، كما تراجعت قوة العديد من الأنظمة العربية التى تعادى إسرائيل. ومن وجهة نظر مُعدى التقرير أيضاً، أصبح ثمة أعداء مشتركون لكل من العرب وإسرائيل، وهم: إيران، و«داعش». ويطالب التقرير بأن تراعى أى تسوية مستقبلية لهذا الصراع، قضية اللاجئين الفلسطينيين.

وحسب التقرير، لا يتعامل العرب مع الصراع الإسرائيلى من المنظور البراجماتى الغربى نفسه، ومن ثم فإنه على الدول الغربية أن تقوم بالوساطة بين الطرفين، مع توضيح الفرص والمزايا للدول العربية فى حال تحقق السلام.

**ثانياً: تصاعد الحروب الأهلية**

تعانى منطقة الشرق الأوسط تصاعد الحروب الأهلية بشكل مستمر، مما يهدد مصالح الدول الغربية، التى يجب عليها أن تقوم بتدخلات مباشرة لإنهاء هذه الحروب، بيد أنه من الممكن أن تؤدى مثل هذه التدخلات لمزيد من الفوضى فى المنطقة إذا ما تم الانحياز لطرف على حساب طرف آخر.

ويستبعد التقرير نجاح أى جهود للوساطة الخارجية فى منطقة الشرق الأوسط إذا لم يصاحبها تدخل خارجى مباشر يجعل جميع الأطراف متعادلين فى القوة، على أن يتم بعد هذا التدخل ضمان تمثيل مناسب وعادل فى المناصب السياسية المختلفة لجميع الأطراف. ويقترح التقرير أن تكون هذه الوساطة الخارجية بقيادة أمريكية.

**ثالثاً: التمدد الإيراني الإقليمي**

لم تتوقف محاولات طهران لزعزعة استقرار المنطقة منذ سنوات طويلة؛ ففى عام 1980 قامت إيران بقصف المدن الحدودية العراقية، مما أدى إلى قيام حرب الخليج الأولى، كما دعمت الجمهورية الإسلامية حزب الله بعد الغزو الإسرائيلى للبنان، فضلاً عن غيره من التنظيمات فى المنطقة.

ويرى التقرير أن إيران استطاعت استغلال الفوضى المنتشرة فى الإقليم، وانهيار العديد من أنظمة الحكم من أجل تنفيذ مشروعها للتمدد الإقليمى. كما يتوقع التقرير أن يؤدى الاتفاق النووى الإيرانى مع الغرب إلى دعم الاقتصاد الإيرانى، مما يشجع طهران على الإبقاء على سياستها العدوانية، ويحفز الاستقطاب فى المنطقة والمشاعر العدائية ضدها.

**رابعاً: انخفاض أسعار النفط**

تعتمد العديد من دول الشرق الأوسط على النفط كأحد مصادر دخلها الرئيسية، بيد أن السوق العالمية تشهد انخفاضاً ملحوظاً فى أسعار النفط، وهو الانخفاض الذى يتوقع التقرير أن يستمر لعدة سنوات مقبلة، وهو ما سيؤدى إلى خلل واضح فى موازنات بعض دول المنطقة.

وفى السياق ذاته، يحذر التقرير من أن يؤدى استمرار تراجع أسعار النفط إلى تفاقم المشكلات الأمنية، وزيادة عدد الدول الفاشلة فى الإقليم، وتصاعد الحروب الأهلية. ويزداد هذا الأمر حدة فى الدول التى تعانى مشكلات هيكلية بالأساس، مثل العراق، والتى لن تستطيع تحمل تكلفة الحرب على جماعات إرهابية، مثل «داعش»، وهو ما سوف يؤدى لاستمرار تمدد هذه التنظيمات.

من ناحية أخرى، فإن انخفاض أسعار النفط قد يؤدى إلى لجوء بعض دول المنطقة للاستدانة المشروطة من الدول والمؤسسات الغربية، وغالباً ما سوف ترتبط شروط هذه القروض ببرامج إصلاح سياسية واقتصادية واجتماعية.

**خامساً: تحدى مكافحة الإرهاب**

يعد الشرق الأوسط من أكثر المناطق التى ينتشر بها الإرهاب؛ وهو ما يرجعه التقرير إلى الإحباط الاقتصادى والاجتماعى الذى يواجهه سكان هذه المنطقة بالإضافة الى التدخلات الخارجية. ومن ثم فإن أى استراتيجية لمكافحة الإرهاب فى الشرق الأوسط يجب أن تبدأ بإنشاء برامج إصلاح اقتصادى وإدماج اجتماعى، إلا أن أغلب حكومات الإقليم تتعامل مع هذه المقترحات باعتبارها نوعاً من الرفاهية، وتكتفى بالاعتماد على الأداة العسكرية بشكل مركزى؛ وكذلك وقف التدخلات الخارجية الضارة والمشاريع التي تستهدف إعادة صياغة المنطقة جيوسياسياً

كذلك يعتبر التقرير أن إنشاء التحالفات مثل «الناتو» NATO قد أسهم فى الحفاظ على أمن القارة الأوروبية، بل ودفعها للتطور قُدماً. ومن ثم، فإنه يقترح إنشاء تحالف يجمع بين الولايات المتحدة ودول الشرق الأوسط، بما فيها إيران، بحيث يقوم هذا التحالف على تدابير واتفاقيات لمنع استخدام القوة المسلحة بين دوله، مع وجود آليات فعَّالة لتسوية الصراعات بالطرق السلمية، والسعى نحو التوصل إلى اتفاقيات للحد من التسلح.

وقد تسعى إيران لإفشال هذا التحالف فى البداية. وطبقاً للتقرير، فإن مراجعة تصريحات بعض المسئولين الإيرانيين المعتدلين تكشف عن قبولهم هذه الفكرة وترحيبهم بها، ومنهم جواد ظريف، وزير الخارجية الإيرانى، فى حوار له مع جريدة نيويورك تايمز عندما كان سفيراً لإيران فى الأمم المتحدة.

كما يشير التقرير إلى أنه قد تحدث بعض المحاولات لإفشال التحالف المقترح من جانب الدول التى لديها مصالح سياسية واقتصادية فى المنطقة مثل: الصين، والهند، وروسيا، لكن يتعين على الولايات المتحدة احتواء تخوفات هذه القوى الدولية، ودعوتها للمشاركة فى هذا التحالف، إلا أن وجود روسيا سوف يثير غالباً القلاقل، وقد يؤدى إلى إفشال التحالف، ومن ثم يجب تحييدها تماماً.

إجمالاً، يؤكد التقرير أن التهديدات الأمنية التى تواجه دول الشرق الأوسط تتجه نحو مزيد من التشابك والتعقيد المستمر، ولم يعد يجدى معها الحلول التقليدية، وأصبحت هناك حاجة ضرورية لإيجاد أساليب إبداعية وابتكارية لإنهاء هذه التهديدات، أو ما يمكن أن يطلق عليه «الأمن الابتكارى» [[9]](#footnote-9).

ثالثاً: المشاريع الاقليمية

### أولاً: المشروع العربي

عبر قرنين من الزمن تنقَلت الأمة العربية من مشروع إنقاذي إلى مشروع إنقاذي آخر، بدون أن توصل أي مشروع إلى نهايته وتحقق أهدافه. كلُ مشروع ترك معلقا في الوسط، إما بسبب تعثُر تحقيقه لأسباب موضوعية أو بسبب بروز تحد جديد يتطلب تأجيل المشروع القديم لصالح مشروع جديد يتعامل مع، ويواجه التحدي الجديد.

لقد عاشت الأمة في هذه الدوامة التي استهلكت طاقاتها المادية والمعنوية وأدخلتها في الحيرة والقنوط. كانت البداية طرحا جزئيا لمشروع الإصلاح الديني الإسلامي للخروج من الجمود الفقهي والفكري والثقافي، الذي تراكم وتعاظم بعد سقوط الخلافة العباسية. تبع ذلك مشروع الأخذ بالليبرالية الأوروبية بعد ازدياد الاحتكاك بأوروبا والانبهار بحضارتها. لكن خيانة أوروبا لمبادئ أنوارها وممارستها للتوسع الاستعماري، واحتلال جزء كبير من أرض العرب، طرح مشروعا جديدا مستعجلا، مشروع الاستقلال الوطني. وما أن انزاح الاستعمار حتى وجدت الأمة نفسها أمام تحدي الهجمة الصهيونية الاستيطانية من جهة، وفشل الرجعية العربية في مواجهة الصهيونية وفي الحكم من جهة أخرى، مما نقلها إلى طرح مشروع الانقلابات العسكرية كطريق ثوري إنقاذي يواجه الصهيونية ويواجه الرجعية العربية الفاسدة في آن.

ومن خلال نجاح الانقلابات العسكرية في العديد من الأقطار العربية المفصلية، طرح المشروع القومي الوحدوي الرامي لتوحد الأمة العربية وصيانة استقلالها، ودحر الصهيونية وإقامة مجتمع العدالة الاجتماعية. ويمكن اعتبار المشروع القومي العربي كمشروع سياسي مطروح امام الامة العربية من بدايته في نهاية القرن التاسع عشر عندما بدأ بعض الوجهاء العرب في المشرق العربي على الأخص يطرح فكرة الانفصال عن الخلافة العثمانية ومنذ ذلك التاريخ اصبح المشروع القومي عبارة عن سيرورة متحركة متنامية تفتش لها عن أسس تاريخية وثقافية وفكرية وعن وسائل سياسية لتحقيق تلك الأسس في الواقع العربي [[10]](#footnote-10).

لقد بدأ المشروع كرد فعل لسياسة التتريك فتوجه الى تاريخ الامجاد العربية الغابرة لتجييش الثورة ضد تلك السياسة وشيئا فشيئا تطور ليصبح في شكل نشاطات ثقافية وادبية تقوم بها اشكال عديدة من الجمعيات والنوادي والتنظيمات السرية والمؤتمرات ووصل في بدايات القرن العشرين الى ان يكون موضوعا سياسيا واجتماعيا محددا خاصا بالعرب ومعبرا عن مطالب عربية بالاستقلال عن الخلافة العثمانية وبتأكيد الهوية العربية تمهيداً لقيام الدولة العربية.

ومن المؤكد ان المشروع كان في بداياته مشروع نخبة عربية من رجالات العائلات الكبيرة والتجار والمثقفين المسلمين والمسيحيين على السواء وفي الوقت نفسه فقد اسهم اتصال العرب بالغرب الأوروبي وتعرفهم على الفكر والمشاريع القومية التي كانت الساحة الاوربية تزخر بها آنذاك في بلورة المشروع العربي القومي واغناءه من خلال التعرف عل مفاهيم الامة الدولة وما رفعته الثورات في الغرب من شعارات وكذلك على أدوات العمل السياسي من برلمانات وأحزاب [[11]](#footnote-11).

والمشروع هو مشروع فكري سياسي يسعى الى توحيد الأقطار العربية في وطن عربي واحد كبير والى توحيد الشعوب العربية في امة عربية واحدة تعيش في ذلك الوطن وتقيم دولتها عليه ضمن حدوده الجغرافية ومنطلقاته الفكرية مبنية على وحدة التاريخ والثقافة واللغة والمشاعر القومية والى حد كبير وحدة الدين ومنطلقاته السياسية تعتمد على وحدة النضال العربي بشتى صنوفه من اجل تحقيق وحدتي الوطن والأمة [[12]](#footnote-12).

لكن هذا المشروع واجه العقبات والعثرات بسبب مؤامرات الخارج وأخطاء الداخل، لتنتقل الأمة إلى مشروع الاعتماد على الاسلام السياسي لإنقاذ الأمة، حتى اذا ما جاءت رياح الربيع العربي بثوراته وحركاته وآماله الكبيرة، امتحن الإسلام السياسي في عدة أقطار وفشل بصورة عامة، مع استثناءات محدودة، في ذلك الامتحان[[13]](#footnote-13).

وتواجه الأمة حالياً تحديا جديدا يتمثل في العاصفة الجهادية الإسلامية التكفيرية الممارسة للعنف البدائي البربري، والمهددة لكل الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي بنتها الأمة العربية عبر تاريخها الطويل. ومن المؤكد أن هذا التحدي الهائل غير المسبوق في تاريخ الأمة سيحتاج إلى طرح مشروع يواجه هذا التحدي ويدحره. مكونات هذا المشروع ومنهجيته والقوى التي ستقوم به تحتاج إلى ألا تعيد ارتكاب أخطاء الماضي ولا تعاني من نقاط ضعفه. فلا محل للمشاريع الجزئية المبتورة، ولا للمشاريع المؤقته، ولا للمشاريع غير المنبثقة من تاريخ وتراث وأحلام وحاجات وأولويات وتجارب الأمة، ولا للمشاريع الفوقية المعزولة عن صخب وحناجر الجماهير. ولعل أقرب تصور فكري منهجي لمثل مشروع مطلوب كهذا، هو المشروع النهضوي العربي بنقاطه الست المترابطة: الوحدة العربية، الاستقلال الوطني والقومي، التنمية الإنسانية الشاملة، الديمقراطية، العدالة الاجتماعية والتجدد الحضاري [[14]](#footnote-14).

النقاط الست العامة تلك غير كافية إن لم يصاحبها دخول عميق في التفاصيل، لإبراز معانيها وواقعيتها وكفاءتها. وقبل ذلك هناك حاجة لمراجعة تحليلية نقدية لمحاولات كثيرة قام بها مئات المفكرين العرب والمسلمين، محاولات بالغة الغنى، بالغة الجرأة، بل بعضها بالغ الحداثة، لكنها في غالبيتها الساحقة كانت محاولات فردية معزولة عن عموم المواطنين وعن حياتهم اليومية، وهي محاولات تجاهلتها المؤسسات الرسمية والكثير من المؤسسات المدنية فماتت في الواقع العربي.

المطلوب هو إدماج الكثير من تلك المحاولات المبهرة لجعل المشروع النهضوي شاملا وعميقا ومرتبطا بالواقع والمستقبل إلى أبعد الحدود. إنه جهد مؤسسي تكاتفي كبير من أجل تجويد المشروع ونشر نتائجه والدفاع عنه، تمهيدا لمأسسته في الحياة السياسية العربية على المستويين الوطني والقومي [[15]](#footnote-15).

### ثانياً: المشروع الصهيوني

برزت فكرة البعث القومي اليهودي من جديد في الثقافة الغربية الأوروبية في أكثر الأوقات ملاءمة من ناحية سياسية، فأصبح الوجود اليهودي في فلسطين خلال القرن التاسع عشر، قضية سياسية بالنسبة للدول الأوروبية التي كانت تصبو إلى التوسع فيما وراء البحار وإقامة الإمبراطوريات. وهكذا تم ربط الأفكار الدينية والإنسانية بذكاء مع السياسة الدافعية للحصول على نفوذ في الشرق الأدنى، ووجدت فلسطين نفسها فجأة تدور في فلك السياسة الأوروبية، وواقعة تحت قوى النفوذ المتصارعة، أما نقطة الارتكاز بما يسمى " المسألة الشرقية ”، هي وضع الإمبراطورية العثمانية التي كانت فلسطين جزءاً منها [[16]](#footnote-16).

تهدف الصهيونية بمدلولها السياسي الحديث إلى السيطرة على العالم في المدى البعيد بدعوى أن الله استخلفهم على العالمين، أنهم "شعب الله المختار"، فهي بذلك تعتبر أقدم مبدأ عنصري استعماري ظهر على وجه الأرض. وتعتبر الصهيونية بهذا المفهوم هي الفلسفة القومية للغالبية العظمى من اليهود في العالم، أما فلسطين فهي هدف الصهيونية القريب، منها يسعون إلى تحقيق هدفهم البعيد.

كان لبريطانيا دور رئيسي وحاسم في التمهيد للمشروع الصهيوني في فلسطين باعتبارها الدولة الاستعمارية الأولى. وبذلك استند التحالف الصهيوني على أسس وأحداث كان أولها اتفاقية سايكس بيكو لاقتسام البلاد العربية ومن ثم إعلان وعد بلفور سنة 1917م، الذي نادى بإنشاء وطن لليهود في فلسطين، كأساس تنفيذي لاتفاقية بمنح اليهود جزءا الأرض العربية ورعاية هذه المنحة. ويعد تصريح بلفور، نهاية المرحلة التي بدأها هرتزل؛ بعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م، الذي اقترح فيه إقامة دولة لليهود، وبداية لمرحلة جديدة، وبذلك يعتبر تصريح بلفور أول اعتراف دولي بالصهيونية ومشروعاتها. وقد نجحت الحركة الصهيونية بزعامة هرتسل بتطبيق المشروع الصهيوني واستطاعت تحقيق إقامة دولة إسرائيل ليس في الارجنتين او اوغندا او شبه جزيرة سيناء كما كان مقترحا ولكن على ارض فلسطين [[17]](#footnote-17).

بعد الحرب العالمية الثانية، وانتقال الثقل السياسي إلى الولايات المتحدة، وتراجع الدور البريطاني، استطاعت الصهيونية أن تكسب تأييدها وزيادة نفوذها بقوة وسرعة في الولايات المتحدة، ويعود إلى أن أمريكا مثلها مثل بريطانيا ذات أغلبية بروتستانتية، تغلغلت في تفكير مواطنيها الأفكار والنبوءات التوراتية الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيرة من الزمن. وقد تمثل ذلك في مؤتمر بلتيمور الذي انعقد في نيويورك عام 1940، والذي أصبح قاعدة انطلاق الحركة الصهيونية من امريكا، مثلما كان بلفور قاعدة انطلاقها من بريطانيا [[18]](#footnote-18).

لم يتوقف المشروع الصهيوني على سلب الأراضي الفلسطينية بل امتد ليطال عددا من دول المنطقة من خلال ما يعرف بـ مشروع "إسرائيل الكبرى" الذي يشكل حجر الزاوية للأحزاب الصهيونية اليمينية، مثل حزب الليكود، وكذلك داخل المؤسسة العسكرية والاستخباراتية الإسرائيلية. وهو ليس مشروعًا صهيونيًا للشرق الأوسط، إنه جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الأمريكية، وهدفه الاستراتيجي هو توسيع الهيمنة الأمريكية بالإضافة إلى احداث تصدع في الشرق الأوسط وبلقنته. وتتمثل استراتيجية واشنطن في زعزعة استقرار وإضعاف القوى الاقتصادية الإقليمية في الشرق الأوسط بما في ذلك تركيا وإيران. وهذه السياسة التي تنسجم مع مشروع "إسرائيل الكبرى" مصحوبة بعملية تقسيم سياسي. فمنذ حرب الخليج (1991)، فكر البنتاغون في إنشاء "كردستان حرة" بحيث تشمل أجزاء من العراق وسوريا وإيران وكذلك تركيا.

وبحسب ثيودور هرتزل، الأب المؤسس للصهيونية، فإن "مساحة الدولة اليهودية تمتد:" من وادي مصر إلى نهر الفرات ". وبحسب الحاخام فيشمان، "تمتد أرض الميعاد من نهر مصر حتى نهر الفرات، وتشمل أجزاء من سوريا ولبنان". وعند النظر إليها في السياق الحالي، بما في ذلك الحصار على غزة، فإن الخطة الصهيونية للشرق الأوسط لها علاقة وثيقة بغزو العراق عام 2003، وحرب عام 2006 على لبنان، وحرب 2011 على ليبيا، والحروب المستمرة على سوريا والعراق. واليمن ناهيك عن الأزمة السياسية في السعودية [[19]](#footnote-19).

يتمثل مشروع "إسرائيل الكبرى" في إضعاف الدول العربية المجاورة وتقسيمها في نهاية المطاف كجزء من مشروع توسعي أمريكي-إسرائيلي، بدعم من الناتو، وذلك وفقاً لخطة عوديد ينون، وهي خطة إستراتيجية إسرائيلية لضمان التفوق الإقليمي الإسرائيلي. وهي تصر وتنص على أنه يجب على إسرائيل إعادة تشكيل بيئتها الجيوسياسية من خلال بلقنة الدول العربية المجاورة إلى دول أصغر وأضعف. وتعمل الخطة على أساسيين: أن تصبح اسرائيل قوة إقليمية إمبريالية، ويجب أن تؤثر على تقسيم المنطقة بأكملها إلى دول صغيرة عن طريق تفكيك جميع الدول العربية الموجودة الى دول صغيرة على أساس عرقي أو طائفي لكل دولة. وبالتالي، فإن الأمل الصهيوني هو أن تصبح الدول القائمة على أساس طائفي تابعة لإسرائيل، ومن المفارقات أن تصبح مصدر شرعيتها الأخلاقية في هذا السياق، فإن الحرب على سوريا والعراق هي جزء من عملية التوسع الإقليمي الإسرائيلي[[20]](#footnote-20).

يدعم المشروع الصهيوني حركة الاستيطان اليهودية على نطاق أوسع، يتضمن سياسة تهجير الفلسطينيين من فلسطين مما يؤدي إلى ضم كل من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى دولة إسرائيل. تمضي إسرائيل حاليًا في خطة ضم أجزاء كبيرة من الأراضي الفلسطينية "مع إبقاء السكان الفلسطينيين في ظروف من الحرمان الشديد والعزلة. " تهيئة الظروف من الفقر المدقع والانهيار الاقتصادي تشكل وسيلة لتحريك طرد ونزوح الفلسطينيين من وطنهم. إنها جزء من عملية الضم. إذا نجحت المناورة، فستنتهي إسرائيل بكل الأراضي التي احتلتها خلال حرب عام 1967، بما في ذلك كل مرتفعات الجولان والقدس ومعظم الأراضي الفلسطينية، بما في ذلك أفضل مصادر المياه والأراضي الزراعية. وستجد الضفة الغربية نفسها في نفس الوضع مثل قطاع غزة، معزولة عن العالم الخارجي ومحاطة بقوات عسكرية إسرائيلية معادية ومستوطنات إسرائيلية" [[21]](#footnote-21).

يقصد بمفهوم الشرق الأوسط الدول العربية والإسلامية الممتدة من المغرب الأقصى غربا إلى أفغانـستان شرقا. وقد ظهر دور بريطانيا واضحا في تشكل مفهوم الشرق الأوسط نتيجة دورها الفعال كونها إمبراطورية استعمارية تحدد وجودها في المنطقة عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الممتدة من القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الثانية حيث كانت بريطانيا قوة عظمـى حـددت المـسار الاقتصادي والسياسي لشعوب المنطقة، وكانت مصر العمود الفقري للسياسة البريطانية في الإقليم.

المرحلة الثانية: تراجع بريطانيا العالمي الذي حتم عليها الانسحاب التدريجي من الإقليم عبر منح مـستعمراتها الاسـتقلال ودعمها لقيام دولة يهودية في فلسطين تقديما لبوادر ظهور المشروع الشرق أوسطي الجديد بعيد عن تاريخ وطبيعة المنطقة بجميع أبعاده.

المرحلة الثالثة: بدأت مع صعود الولايات المتحدة الأمريكية إلى قمة الهرم الدولي وبداية الصراع مع الاتحـاد الـسوفييتي، وكان الإقليم من أهم مناطق الصراع بين القطبين الدوليين، وجرى التوافق الأمريكي البريطاني على أهمية المنطقة والـسعي لملئ فراغها عبر العديد من المشاريع أهمها إنشاء دولة إسرائيل 1948 [[22]](#footnote-22).

مع دخول الولايات المتحدة مسرح الأحداث بعد احتلالها العراق وضعت اسـتراتجيات ثابتـة لـسياستها الخارجية ارتكزت على: تدعيم رسم جديد لعلاقات القوة في العالم، أو ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، الذي تنفرد فيـه الولايـات المتحدة بقرارات حل المشاكل العالمية إضافة إلى تدعيم مركزها الاقتصادي والأمـني بالدرجـة الأولى علـى حساب القوى المنافسة لها فرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا والصين واليابان. وتفرع عن هذا الهدف الرئيسي أهداف فرعية تتعلق بإعادة تشكيل الشرق الأوسط أو بالمعنى الدقيق توزيع القوة وفق ما يحقق المصالح الأمريكية في المنطقة المتمثلة في ضمان تدفق النفط وضمان أمن إسرائيل [[23]](#footnote-23).

في مستهل التسعينيات لم يعد الشرق الأوسط بتركيبته تلك مناسبا لتحقيق الأهداف الأمريكية، فبدأ الحديث عن شرق أوسط جديد تتغير فيه الفواعل من حيـث الجغرافيـا والسياسة، ويشمل كذلك التحالفات الإستراتجية الأمريكية في المنطقة. وقد أثبتت حرب أمريكا على العراق عزمها على تغيير حلفائها تحت مبررات نشر قـيم الديمقراطيـة وحقوق الإنسان والحريات والتي زاد بروزها في الخطابات الأمريكية بعد أحداث 11/9 [[24]](#footnote-24). وقد تبنت الولايات المتحدة استراتيجية جديدة تهدف الى تغيير الواقع الجيوسياسي في المنطقة من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير، والذي ساهم في تفكيك وانهيار بنية الدولة الوطنية في بعض الحالات، الامر الذي أدى الى انتشار الجماعات الإرهابية المسلحة وظهور صراع نفوذ على الهيمنة دخل معه الإقليم في مرحلة صعبة من عدم الاستقرار.

يركز مشروع الشرق الأوسط الكبير على خلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى والعنف، والذي يمتد من لبنان، إلى فلسطين وسورية، إلى العراق، والخليج العربي، وإيران، وحدود أفغانستان التي كانت تحتلها قوات حلف شمال الأطلسي. ويشكل الشرق الأوسط، وأفغانستان وباكستان، نقاط انطلاق لتوسيع نفوذ الولايات المتحدة إلى مناطق الاتحاد السوفياتي والجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى. ويشكل الشرق الأوسط، إلى حد ما، الطبقة الجنوبية من آسيا الوسطى. وتسمى آسيا الوسطى بدورها “الطبقة الجنوبية لروسيا” أو “الخارج القريب” لروسيا، وتعتبر بمثابة المنطقة الهشة و”الخاصرة اللينة” للاتحاد الروسي [[25]](#footnote-25).

### ثالثاً: المشروع التركي

تعتبر تركيا جزءاَ من إقليم الشرق الأوسط ولها ارتباط تاريخي وديني بالمنطقة العربية بحكم الحضارة والتاريخ المشترك كون الدولة العثمانية حكمت المنطقة أربعة قرون. ولكن الحرب العالمية الأولى والغاء الخلافة عام 1924 وإعلان الجمهورية التركية تسبب بحالة من الانقطاع مع الشرق، واتجهت تركيا للانضمام الى حلف الناتو ثم طالبت بالانضمام للاتحاد الأوروبي ولكن تعذر ذلك نظراً لرفض المانيا وفرنسا والبابوية في روما. برزت رؤية استراتيجية جديدة مع وصول حزب العدالة والتنمية عام 2002 وذلك بالتوجه نحو محيطها الجغرافي وتاريخها العثماني مع إبقاء الباب مفتوحاً مع الاتحاد الأوروبي. وقد تبنت تركيا مبدأ العمق الاستراتيجي من خلال استغلال الموقع الجيوبولتيكي لتركيا بين ثلاث قارات لتحقيق المصالح التركية السياسية والاقتصادية والعسكرية من خلال تصفير المشاكل وبناء علاقات إيجابية مع جميع دول المنطقة من اسيا الى أوروبا والعالم العربي وافريقيا وإدارة سياسة خارجية نشطة. وتركز رؤية العثمانيون الجدد على تحقيق مصالح تركيا في الشرق الأوسط من خلال القوة الناعمة والانفتاح على دول المنطقة لتحقيق المصالح السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية. اما خيار التوجه الى اسيا الوسطى فيصطدم بوقوع المنطقة ضمن منطقة النفوذ الروسية.

الدور التركي في الملف الفلسطيني.

حاولت تركيا توظيف الورقة الفلسطينية في استراتيجية الاستدارة نحو الشرق بعد فشل انضمامها للاتحاد الأوروبي، باعتبار القضية الفلسطينية جسراً لزعامة العالم الإسلامي نظراً للمكانة البارزة التي تتمتع بها في العالمين العربي والاسلامي، فقامت بتسيير قوافل إغاثة وارسال سفينة مرمرة التي كانت ذروة التوظيف السياسي للورقة الفلسطينية في معادلة التوسع الإقليمي في اسناد واضح لحركة حماس باعتبارها جزء من جماعات الإسلام السياسي وخاصة جماعة الاخوان المسلمين التي دعمتها تركيا باعتبارها الرافعة الشعبية التي يمكن ان تؤسس للهيمنة الإقليمية التركية بعد سقوط النظم السلطوية في المنطقة, ولكن التحولات في المنطقة خلقت مجموعة من الدول الفاشلة وصدام بين تركيا والدول الناجية من موجة الفوضى. واحتفظت تركيا بدورها المحوري في الملف الفلسطيني ولكن دورها تحول الى الحفاظ على التوزان في علاقاتها بين حركة حماس والسلطة الفلسطينية.

منذ بداية الأزمة السورية حاولت تركيا توظيف الحراك السياسي والاجتماعي في سورية لخلق واقع جوسياسي في سورية يخدم المصالح التوسعية التركية في المنطقة، عبر إيجاد نظام سياسي في دمشق يكون تابع من الناحية السياسة والاقتصادية والعسكرية لتركيا، بهدف السيطرة على الموارد السورية وتوظيفها في معادلة التوسع الإقليمي التركي باعتبار ان المنتصر في سوريا من تركيا وايران وإسرائيل سيكون الاوفر حظاً في فرض الهيمنة الإقليمية، ولكن التدخل الدولي عموماً والروسي بشكل خاص خلق واقعاً جديداً حد من المشاريع الثلاثة بإدخال اللاعبين الثلاثة للمشهد وفق قواعد للعبة قام بوضعها.

سعت تركيا للعب دور محوري في الأزمة الليبية لدعم جهود توسعها في الإقليم، خاصة أن تركيا ترى في الموقع الجغرافي الليبي أهمية استراتيجية للتمدد في شمال افريقيا وضمان حصولها على حصة مناسبة من غاز شرق المتوسط في إطار صراع الموارد المحتدم في المنطقة بين تركيا من جهة ومصر واليونان وقبرص من جهة أخرى. ولكن قدوم إدارة أمريكية ديمقراطية جديدة دفع تركيا الى تبريد الملف الليبي في اطار الانفتاح على الإدارة الجديدة وتحييد أي عقوبات ممكنة بشأن اقتناء تركيا لمنظومة اس 400 الروسية رغم عضويتها في حلف الناتو، ورغبتها في استرضاء إدارة بايدن للحصول على طائرات اف 35 لذلك أقدمت على الانفتاح مجدداً على فرنسا وسحب سفن الأبحاث التركية من المياه القبرصية في شرق البحر الأبيض المتوسط ​​وابداء الرغبة في استئناف المحادثات مع اليونان بشأن نزاع بحري طويل الأمد.

تسعى تركيا لزيادة فاعلية دورها المؤثر في المنطقة من خلال التواجد الفعال والمؤثر في كل الأزمات، بهدف ضمان تحقيق المصالح القومية التركية التي تسعى لضمان حصص كبيرة من غاز شرق المتوسط، وعدم قيام كيان كردي في شمال العراق وسورية، وتنسيق القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة مع أنقرة في أزمات المنطقة، وزيادة صادراتها للشرق الأوسط وافريقيا.

تعتبر تركيا وإسرائيل، وهما قوتان شرق أوسطيتان غير عربيتان، منذ فترة طويلة حليفين طبيعيين. على مدى عقود، تعاونتا على مستويات مختلفة لمواجهة تأثير أعدائهم الإقليميين المشتركين. على الرغم من هذا التعاون الطويل الأمد، تحولت علاقتهما إلى شراكة إستراتيجية فقط في التسعينيات. كانت تركيا أول دولة ذات أغلبية مسلمة تعترف بدولة إسرائيل عام 1949. واتبعت فيما بعد نهجًا أكثر حذرًا وأبقت تعاملها مع إسرائيل سرية في الغالب، خوفًا من رد الفعل العربي العنيف، وفي عام 1980، خفضت تركيا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل إلى مستوى رمزي بسبب ضم إسرائيل للقدس الشرقية، وفقط بعد عملية السلام في مدريد عام 1991، عاودت تركيا الانخراط مع إسرائيل على مستوى السفراء، ورفعت في الوقت نفسه علاقاتها الدبلوماسية مع السلطة الفلسطينية لنفس المستوى.

في التسعينيات تعمقت العلاقات بين تركيا وإسرائيل بسرعة، وتحولت من العلاقات الاقتصادية في المقام الأول إلى شراكة أمنية قوية، وكان أساس التحالف التركي الإسرائيلي الاستراتيجي في التسعينيات هو زواج المصلحة لكلا الجانبين، والذي تم دعمه جزئيًا من خلال التصور المتبادل لسوريا على أنها تهديد أمني.

تأثرت العلاقات باندلاع الانتفاضة الثانية في أواخر عام 2000، ومع ذلك، استمر التعاون العسكري والمدني الكبير في عام 2001، بما في ذلك التدريبات العسكرية ومع ذلك في أوائل عام 2002، وقعت تركيا اتفاقية سرية مع الصناعات العسكرية الإسرائيلية لتحديث 170 دبابة تركية واتفاقية تقدر قيمتها بمليار دولار لاستيراد المياه التركية. كان فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات في تشرين الثاني (نوفمبر) 2002 مؤشراً على حدوث تحول في التحالف، ومع ذلك، لم تتوتر العلاقات الدبلوماسية حتى عام 2004 بعد أن اغتالت إسرائيل زعيم حماس الشيخ أحمد ياسين، حيث ندد أردوغان بالقتل باعتباره "عملًا إرهابيًا" وقال إن إسرائيل تمارس "إرهاب الدولة" في غزة. تراجعت العلاقات الدبلوماسية، ولكن العلاقات العسكرية استمرت حيث اشترى الجيش التركي عام 2005 ثلاثة أنظمة للطائرات بدون طيار ومعدات مراقبة لحماية حدودها مع العراق بشكل أفضل. وفي عام 2005 توسطت تركيا في أول محادثات رسمية عامة بين إسرائيل وباكستان، وهو جهد كان يُنظر إليه على أنه جزء من سعي تركيا الشامل لدور الوسيط الإقليمي، ولم يكن أردوغان يتعاطف مع إسرائيل، إلا أنه كان براغماتيًا. وقد أوضحت جهود أردوغان وحزب العدالة والتنمية خلال تلك الفترة لإشراك المنظمات اليهودية الأمريكية في واشنطن للمساعدة في الضغط نيابة عنهم في الكونغرس.

أدى تصاعد العنف في غزة وحرب لبنان الثانية إلى خطاب مناهض لإسرائيل واحتجاجات واسعة النطاق في المدن التركية. ومع ذلك في 2007-2008، توسطت تركيا رسميًا في محادثات سرية وحساسة للغاية بين إسرائيل وسوريا، والتي قيل إنها كانت على وشك أن تكون مثمرة. وفي أواخر ديسمبر 2008 أطلقت إسرائيل عملية الرصاص المصبوب في غزة. والتي أحدثت تحولا في العلاقات الإسرائيلية التركية. حيث انه لم يتم إبلاغ أردوغان بخطط إسرائيل في الوقت الذي يحتفظ فيه بعلاقات قوية مع غزة وقيادتها، ورأى في العملية إهانة شخصية وضربة للعلاقات الثنائية.

بعد ذلك بوقت قصير، اشتبك الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز وأردوغان علنًا على خشبة المسرح في المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس. هدد السياسيون الإسرائيليون بالاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن إذا واصلت تركيا الإشارة إلى أفعال إسرائيل في غزة على أنها إبادة جماعية. ومنع أردوغان إسرائيل من المشاركة في تدريبات نسر الأناضول العسكرية. انسحبت الولايات المتحدة وإيطاليا من التدريبات احتجاجًا، مما أدى إلى إلغائها، وصوّر مسلسلين تلفزيونيين تظهر إسرائيل بشكل سلبي، واهانت إسرائيل السفير التركي أوغوز تشيليكول علانية، احتجاجاً على المسلسل التلفزيوني، بجعله يجلس على كرسي منخفض وزادت الحادثة من التدهور في العلاقات. ثم جاءت حادثة مرمرة في مايو 2010 حادثة مرمرة، أضعفت العلاقات المتوترة بالفعل مع صراع عنيف مباشر.

وبعد عدة أشهر من محاولات المصالحة، التي دفعتها الحكومة الأمريكية بقوة، خفضت تركيا مرة أخرى علاقاتها مع إسرائيل إلى مستوى السكرتير الثاني، وسحبت إسرائيل سفيرها من تركيا، ودخل البلدان فترة ست سنوات من المفاوضات المفتوحة والسرية مليئة بالصعود والهبوط والأزمات المختلفة والفرص، حتى تم التوصل إلى اتفاق في أواخر يونيو 2016.[[26]](#footnote-26) في مايو 2018، بعد اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل واندلاع الاحتجاجات على حدود قطاع غزة أعلنت الحكومة التركية حدادًا وطنيًا لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم التالي طردت تركيا السفير الإسرائيلي وسحبت سفيرها في تل أبيب للتشاور. رداً على ذلك، طردت إسرائيل القنصل التركي في القدس. ولكن تم استئناف العلاقات مجدداً بتعيين سفير تركي جديد الى إسرائيل نهاية عام 2020. ويأتي هذا التعيين بعد تطبيع اربع دول عربية علاقاتها مع إسرائيل الامر الذي اعتبرته تركيا قد يكون موجهاً ضدها، وكذلك جزء من محاولة لتحسين العلاقات مع إدارة الرئيس المنتخب الجديد جو بايدن في ظل تخوفها من تفعيل إدارة بايدن لمشروع قانون تفويض الدفاع الوطني لعام 2021 الذي يطالب بفرض عقوبات على تركيا في غضون 30 يوماً من تمريره في الكونغرس، بسبب شرائها أنظمة الصواريخ الروسية "أس -400" المضادة للطائرات.[[27]](#footnote-27)

رابعاً: المشروع الايراني

العلاقة الإيرانية بالمنطقة نتاج تجارب تاريخية طويلة وممتدة شهدت فترات من التعايش والصراع الذي يتخذ أحيانا طابع القسوة والدموية لا سيما في الأوقات التي يكون فيها للحكم في ايران مشروع سياسي او مذهبي او توسعي، وكان اخر نماذج المشروع الإيراني في المنطقة العربية بعد اسقاط الشاه عام 1979 اطلاق شعار تصدير الثورة الذي كان مجرد بداية لعلاقة صعبة مع العرب لم تقتصر على التحرش وتنفيذ املاءات اجنبية كما كان الوضع في عهد الشاه ولكنها كانت هذه المرة تعبر عن مزيج من السلطة الدينية والميراث القومي وإرادة الاستحواذ والرغبة بالسيادة الإقليمية والسعي للحصول على مكانة دولية بالقوة وإرادة الارغام. وبرغم حمام الدم الذي جرى في حرب الثماني سنوات، عادت ايران بعد استجماع قوتها من جديد الى تنفيذ مشروعها بل والرفع من سقف أهدافه.

في زمن الشاه كانت إيران تلعب دور شرطي الخليج في مشروع دولي اكبر ترسمه السيناريوهات الامريكية وتحدده قواعد الصراع العربي الاسرائيلي وتطوراته وحروب الوكالة ابان الحرب الباردة، وتامين السيطرة على منابع النفط وطرق امداده ومحاربة النظم الثورية، ومساندة النظم العربية القريبة من الغرب فضلا عن التحالف مع إسرائيل لقد كان الدور الإيراني لعدة عقود متمركزاً حول حماية المصالح الامريكية الغربية في المنطقة. بعد اسقاط الشاه تحولت الولايات المتحدة الى شيطان اكبر واطلق الخميني شعار تصدير الثورة ليعلن عن ولادة مشروع إيراني إقليمي خاص تمثل المنطقة العربية ساحته الرئيسية ومجاله الحيوي.

بعد وفاة الخميني استمر مفهوم تصدير الثورة كمشروع سياسي وايديولوجي وحركي متكامل عابر للحدود لتلبية طموحات ايران التوسعية، والسيطرة على موارد المنطقة، والهروب من الازمات الداخلية للنظام . المشروع يستند الى ثنائية عقدية واستراتيجية، يستند الشق العقدي الى مرتكزين أساسيين هما ولاية الفقيه وتصدير الثورة، يركز الأول على الدور المحوري للولي الفقيه بوصفه الحاكم بأمر الله لجميع المسلمين وتحقيق وحدتهم السياسية والثقافية والاقتصادية من خلال دعم النضال العادل للمستضعفين ضد الاستكبار أي انه يتم التعامل مع الدول الإسلامية وقضاياها بشكل يتعدى الحدود الوطنية للتدخل المباشر والتغيير عبر تصدير الثورة لصالح توسيع النفوذ الإيراني [[28]](#footnote-28).

وتعمل ايران على تحقيق مشروعها من خلال بناء شبكة تحالفات مع قوى محلية تمثل أذرع للمشروع الفارسي الإيراني في المنطقة، لضمان سيطرتها على القرار السياسي في المنطقة. ففي لبنان تتحكم بحزب الله وسياساته الرامية الى اخضاع لبنان الى النفوذ الإيراني باستخدام يافطة مقاومة الاحتلال الاسرائيلي لمراكمة القوة والنفوذ الداخلي في لبنان، لتشكل المنفذ الإيراني على البحر المتوسط لدولة الهلال الشيعي التي تضم سوريا التي يحكمها النظام العلوي المتحالف مع ايران، والعراق التي تخضع للنفوذ الإيراني عبر فصائل وميليشيات متعددة ابرزها حالياً الحشد الشعبي وحزب الله العراقي. ويمتد النفوذ الإيراني الى الساحة الفلسطينية من خلال تقديم الدعم لحركتي حماس والجهاد الإسلامي خاصة في قطاع غزة والذي ساهم في الوصول الى حالة الانقسام. ولا تبتعد اليمن التي يخضع شمالها لحكم حركة انصار الله بقيادة الحوثيين والتي تشكل جزءاً هاماً في محاولات ايران المستمرة لاثارة عدم الاستقرار في الخليج وتوظيف الملف في إدارة العلاقات والمساومات مع الإدارة الامريكية لا سيما الملف النووي الذي تطمح الى العودة للعمل بالاتفاق النووي دون إضافة شروط جديدة. وهذا التمدد يهدف الى تمكين المشروع الإيراني من التمدد على المستويات السياسية والاقتصادية العسكرية، لتصبح إيران القوة المهيمنة في المنطقة في منطقة الشرق الأوسط ولكنها تواجه ثلاثة لاعبين:

منذ سقوط نظام صدام حسين الذي كان يشكل توازن قوي في المنطقة بدأت الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة استشعار خطر التمدد الإيراني في المنطقة، حيث عملت إيران على الاستفادة من الواقع الجيوسياسي الجديد، وبناء على ذلك تمدد الهيمنة الإيرانية في منطقة الخليج الأمر الذي شكل تهديداص للمصالح الأمريكية في المنطقة التي ترتكز على النفط والثروات الطبيعية الموجودة في المنطقة والتي هي محل أطماع قوى دولية وإقليمية أخرى. وضمان مصادر الطاقة، وحماية أمن واستقرار إسرائيل، وحماية الأنظمة الموالية لها.

بناء على التهديدات الإيرانية الجديدة طورت الولايات المتحدة استراتيجية جديدة للتعامل مع الملف الإيراني تشتمل على شقين الأول مواجهة الدور الإيراني المتعاظم في منطقة الشرق الأوسط، وتهديد إيران لجيرانها العرب، وتأخذ في الحسبان المخاوف الإسرائيلية من البرنامج النووي والبرنامج الصاروخي الإيراني، الأمر الثاني تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية إيران كفزاعة للعرب ودول الخليج بشكل خاص لضمان بقاء العرب ودول الخليج ضمن المنظومة الأمريكية، لأن واشنطن تسعى للاستفادة من التناقضات والصرعات الموجودة في المنطقة بهدف عقد المزيد من الصفقات الاقتصادية أو العسكرية، وهذا ما حدث خلال الأزمة الخليجية، فقد وقعت الولايات المتحدة الأمريكية عقوداً تجارية وعسكرية مع السعودية وقطر، ما يؤكد رغبة واشنطن لاستغلال حالة الصراع على النفوذ بين دول الخليج وإيران لضمان مصالحها وحماية أمن إسرائيل، والنهوض بالاقتصاد الأمريكي على حساب موارد المنطقة ([[29]](#footnote-29)).

1. وتضمنت الاستراتيجية الامريكية بشأن الاتفاق النووي مع إيران التي أعلنها الرئيس الأميركي دونالد ترامب يوم الثالث عشر من أكتوبر2017م، تتضمن أربعة محاور أساسية، هي([[30]](#footnote-30)): المحور الأول: العمل مع الحلفاء وتفعيل التحالفات التقليدية والإقليمية لمواجهة النشاط الإيراني في المنطقة وتحييده، والذي يدفع المنطقة لحالة عدم الاستقرار ويهدف للسيطرة عليها، فإيران تمثل خطرًا على المنطقة وتهدد استقرار العديد من دول المنطقة كالعراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا والمملكة العربية السعودية. والمحور الثاني: محاربة تمويل "الإرهاب" عبر فرض مزيد من العقوبات، وتفكيك شبكات إيران الإرهابية العالمية. المحور الثالث: معالجة مسألة انتشار الصواريخ الباليستية والأسلحة التي قال إنها "تهدد الجيران والتجارة العالمية وحرية الملاحة". المحور الرابع: حرمان إيران من أي وسيلة تقودها لامتلاك السلاح النووي وإعادة النظر في الاتفاق النووي مع إيران لأنه لا يمثل المصالح الأمريكية ويضر بأمن إسرائيل ومصالحها بشكل مباشر. وفي 8 مايو 2018، أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب انسحاب بلاده من خطة العمل الشاملة المشتركة وإعادة فرض عقوبات جديدة على إيران.

تمثل ايران التحدي الأول لادارة بايدن بعد التزامه بتقييد وصولها إلى سلاح نووي، حيث جددت ايران إنتاج وتخزين اليورانيوم المخصب وتشغيل أجهزة الطرد المركزي الأكثر تقدمًا لإنتاج المزيد والمزيد بشكل أسرع رداً على انسحاب ترامب من الاتفاق النووي. وقد اقترح بايدن إعادة التفاوض على الصفقة، فمن وجهة نظره فان العودة للعمل بالاتفاق تؤخر فعلياً من قدرة ايران على امتلاك سلاح نووي وتضع برنامجها النووي تحت المراقبة الدولية، ويعتقد ان ضغط ترامب تسبب في زيادة التوتر في المنطقة ودفعها الى أبواب الحرب، ومكن ايران من الاقتراب من امتلال سلاح نووي. وفي ظل رؤية بايدن سيعود الاتحاد الأوروبي ليلعب دوراً هاماً في الملف، ومع ذلك سيبقى حل الملف بطيئاً خاصة في ظل وجود معارضة في الكونجرس لرفع العقوبات التي فرضتها إدارة ترامب بالإضافة الى تشدد موقفي حلفاء واشنطن في المنطقة السعودية وإسرائيل لأن الاتفاق لا يشمل الأنشطة الصاروخية لإيران، وتدخّلها في النزاعات والازمات الإقليمية. بالإضافة الى توجه المحافظون الإيرانيون للاستمرار في الضغط على الولايات المتحدة من خلال مواصلة فك ارتباط إيران بالاتفاق، ومطالبة ايران بالتعويض عن المصاعب الاقتصادية التي فرضتها عقوبات "الضغط الأقصى" لإدارة ترامب.

تصاعدت التوترات بين إسرائيل وإيران منذ أن انسحب الرئيس دونالد ترامب من جانب واحد من اتفاق 2015 لإنهاء برنامج إيران النووي مقابل تخفيف العقوبات في عام 2018. ولم يتمكن الأوروبيون الموقعون على الاتفاق النووي من رفع الحظر المتجدد على التجارة مع إيران بشكل فعال، مما دفع طهران إلى استئناف تخصيب اليورانيوم تدريجيًا مع انهيار الصفقة في منتصف عام 2019. في غضون ذلك، تصاعدت المواجهات المتبادلة بين وكلاء إيران والولايات المتحدة في الخليج العربي، إلى جانب الهجمات الإسرائيلية على وكلاء إيران في سوريا والعراق.

كانت إسرائيل وإيران خصمين منذ الثمانينيات. ولكن بعد غزو الولايات المتحدة للعراق عام 2003 والانسحاب الرسمي للقوات الأمريكية في عام 2011، انهار ميزان القوى الإقليمي، تاركًا الشرق الأوسط بدون هيمنة واضحة. وقد أدى ذلك إلى خلق فراغ أدى إلى زيادة الصراع بين البلدان. على الرغم من خطابهم العدواني، فإن المسؤولين في أي من البلدين لا يسعون إلى حرب شاملة ومباشرة. وتنفذ إسرائيل منذ فترة طويلة ضربات غير معلنة على أهداف إيرانية في سوريا، لكن الأشهر الأخيرة شهدت ادعاء المسؤولين علنًا بالعمليات وتكثيف الهجمات وتوسيع مسرح الحرب، ففي نوفمبر، قال رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إن إسرائيل ستوسع عملياتها إلى اليمن "لمنع إيران من ترسيخ نفسها في المنطقة".

وبعد الهجوم على أرامكو السعودية الذي يعتقد على نطاق واسع أنه تم تنفيذه من إيران غير من قواعد اللعبة من حيث توازن الردع في المنطقة"، فالدفاعات الإسرائيلية مُعايرة للصواريخ الباليستية بدلاً من صواريخ كروز منخفضة التحليق المستخدمة ضد السعودية، ولن تكون قادرة على منع هجوم "سيناريو الكابوس" على مصانع كيماوية أو منشآت نووية ما "يجعل أجزاء من إسرائيل غير صالحة للسكن لعقود، وهو ما يجعل إسرائيل امام تجنب الاشتباك وترك التهديد ينمو بمرور الوقت أو المجازفة ومحاولة القضاء عليها في مهدها[[31]](#footnote-31).

منذ انسحاب ترامب من الاتفاق النووي، اتخذت إيران عدة خطوات متتالية تنتهك شروط الاتفاق النووي . حيث أدخلت منشآت جديدة على الإنترنت، وزادت مخزوناتها من المواد النووية وخصبت بعضها إلى 4.5٪. لافشال استراتيجية الضغط الأقصى الامريكية عليها، ولكن تجاوز نسبة التخصيب يمثل خط أحمر بالنسبة لإسرائيل. ومن شأن احتجاجات جديدة في لبنان والعراق ضد نفوذ إيران الإقليمي او داخل ايران ان تضغط على ايران في المفاوضات خاصة وانها مؤشر على نجاح الضغوط الاقتصادية التي يمكن ان تستمر ولكن ايران تملك تحريك مليشياتها واستهداف حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة ما يجعل احتمال حدوث مواجهة امراً ممكناً. ولكن صعود بايدن للحكم يجعل فرص العودة للاتفاق ممكناً وفق تعهداته بمنع ايران من امتلاك سلاح نووي ولكن سيتأثر بالمعارضة الداخلية الامريكية وموقف حلفاءه في المنطقة الذين يطالبون بتوسيع الاتفاق ليشمل السعودية وإسرائيل وتوسيع بنوده لتشمل برنامج الصواريخ والتدخلات الإيرانية في دول المنطقة.

الخاتمة

في عالم ومنطقة متغيرين بشكل كبير، فان غياب التقدم نحو تحقيق السلام، كما تشير الأحداث في القدس التي سبقت الحرب الأخيرة، وزيادة الاستيطان الذي يهدف الى منع اقامة دولة فلسطينية متواصلة سوف تتعمق الأبعاد الدينية للصراع، ولن يكون أمام الفلسطينيين خيار سوى النضال من أجل حقوق متساوية ضمن خيار الدولة الواحدة، وهو مطلب يتزايد دعمه من قبل الشباب الفلسطيني، سترفض إسرائيل هذه النتيجة بشدة، لأن الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة تدعمه أغلبية إسرائيلية واضحة، كذلك ترفض الولايات المتحدة فكرة حل الدولة الواحدة، ويؤيد الاتحاد الأوروبي والمجتمع الدولي حل الدولتين. وقد يستمر الصراع الناتج لعقود ويؤدي إلى تفاقم التكلفة الهائلة للصراع على كلا الجانبين. والاتجاهات العالمية والإقليمية ليست مع استمرار الصراع لأن المكاسب المترتبة على تغيير المسار في السعي الجاد لتحقيق السلام هائلة بالنسبة للأطراف وسوف يتم جنيها على الصعيدين الإقليمي والدولي.

رغم تبني إدارة بايدن لحل الدولتين الا انه ليس هناك ضمانات حقيقية بأن تستجيب إسرائيل لاستئناف العملية السياسية دون ممارسة ضغوط عليها، ولكن حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ما زال يحتل مكانة متأخرة على اجندة بايدن. ومع ذلك فان التطبيع مع إسرائيل، والذي استبعد مبدأ الأرض مقابل السلام لصالح مواجهة الاخطار الإيرانية، والمصالحة العربية التي تقاطعت في أهدافها مع دوافع التطبيع قد يستدعيان من إسرائيل الطامحة للهيمنة الإقليمية التعامل بإيجابية مع رؤية بايدن لحل الدولتين حفاظاً على التطبيع، أي أمنها الاستراتيجي، من جهة وعلى استمرار عزل ايران والحد من طموحاتها الإقليمية من جهة أخرى.

يمكن القول ان المنطقة تعيش في مرحلة ما قبل الإقليمية، فالنظام الشرق أوسطي الذي يجري العمل على تثبيته يعطل مشروع المنظومة العربية والمنظومة الإسلامية ويحل بديلاً عنهما لصالح المحافظة على دور إسرائيل الذي يقوم على الفوضى الأمنية الهدامة. وفي هذا الصدد تجري محاولة تشكيل وحدة إقليمية وفقا لهوية جديدة تتجاوز الهوية العربية للإقليم نحو هوية شرق أوسطية ترتكز على العلاقة الدينية بين العرب واليهود كابناء عم في مقابل الانغلاق تجاه قوى أخرى لا تشترك معها في نفس الهوية والمقصود هنا الفرس وغيرهم من القوميات في المنطقة.؛ وفي المرحلة الثانية يظهر التعاون الرسمي والغير رسمي، وتترسخ مكانة المسار الإقليمي؛ والمرحلة الأخيرة هي مرحلة مخرجات المسار الإقليمي وتطوير هوية متميزة وقدرات مؤسساتية شرعية ما يجعلها فـاعلا ممثلاً عن الدول. وترتبط بعد ذلك بمفهوم الجماعة الأمنية في جوار إقليمي مشترك، يتبعه انبثاق مؤسسات وممارسات على درجة من القوة تمكن مـن حـل المشاكل المشتركة.

لا يمكن خلق نظام امني إقليمي مستقر دون تقدم على المسار الفلسطيني فبقاء الانسداد يعني توفير فرصة لجماعات الإسلام السياسي والجماعات الإرهابية و يبقي القضية الفلسطينية ورقة قوة في اطار التنافس الإقليمي وهذا يعني ان السلام والاستقرار المنشودين لن يتحققا وسيكون تعزيز الديمقراطية وصفة مستحيلة وهذا لا يخدم الاجندة الدولية للولايات المتحدة بالانسحاب التدريجي من الإقليم والتركيز على القوى الصاعدة.

من المرجح أن تستمر الازمات في دول المنطقة خلال الأربع سنوات المقبلة، ولكن لا يمكن استبعاد احتمال أن تؤدي الصدمة، سواء كانت خارجية أو داخلية، إلى تغيير النظام أو حتى الفوضى في واحدة على الأقل من دول المنطقة. ومن المرجح أن لا تكون الإدارة الجديدة في وضع يمكنها من حل العديد من مشاكل المنطقة في سنواتها الأربع الأولى، وستتجه لاستراتيجية ادارة المنطقة دون حل للنزاعات فيها.

1. \* باحث في الشؤون السياسية [↑](#footnote-ref-1)
2. Khaled Hroub, Palestine’s Impasse: Israeli Occupation, Regional Conflicts and Internal Division, IEMed Mediterranean, Yearbook 2018. https://bit.ly/3yNrH3u [↑](#footnote-ref-2)
3. Hesham Youssef, The Israeli-Palestinian Conflict Amid a New Reality and a New Region, United States Institute of Peace, 26/05/2021 .https://bit.ly/2X8FYea [↑](#footnote-ref-3)
4. Khaled Hroub, Palestine’s Impasse: Israeli Occupation, Regional Conflicts and Internal Division, IEMed Mediterranean, Yearbook 2018. https://bit.ly/3yNrH3u [↑](#footnote-ref-4)
5. Hesham Youssef, The Israeli-Palestinian Conflict Amid a New Reality and a New Region, United States Institute of Peace, 26/05/2021 .https://bit.ly/2X8FYea [↑](#footnote-ref-5)
6. Khaled Hroub, Palestine’s Impasse: Israeli Occupation, Regional Conflicts and Internal Division, IEMed Mediterranean, Yearbook 2018. https://bit.ly/3yNrH3u [↑](#footnote-ref-6)
7. Hesham Youssef, The Israeli-Palestinian Conflict Amid a New Reality and a New Region, United States Institute of Peace, 26/05/2021 .https://bit.ly/2X8FYea [↑](#footnote-ref-7)
8. صداع التغيير أو سرطان الوضع الحالي'.. تحديات تواجه الشرق الأوسط، الحرة، 25/10/18. <https://arbne.ws/2X577i7> [↑](#footnote-ref-8)
9. معتز بالله عبد الفتاح، خمسة تحديات أمنية كبرى فى الشرق الأوسط، العربية، 2/4/2016 https://bit.ly/3BQs6nD [↑](#footnote-ref-9)
10. علي محمد فخرو، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، ط1، 2012، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ص621-622. [↑](#footnote-ref-10)
11. المصدر السابق، ص621-622. [↑](#footnote-ref-11)
12. علي محمد فخرو، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، ط1، 2012، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ص621-622. [↑](#footnote-ref-12)
13. علي فخرو، ﻿انتقال الأمة إلى مشروع جديد، القدس العربي، 07/07/2015 .  [https://bit.ly/3DXEEvd /](%20https://bit.ly/3DXEEvd%20/) [↑](#footnote-ref-13)
14. المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-14)
15. المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-15)
16. ساجدة نوفل، البعد الديني للصراع العربي– الصهيوني (الدولة اليهودية: دراسة حالة)، جامعة الشرق األوسط، 2018، ص 50-51. [↑](#footnote-ref-16)
17. المصدر السابق، ص 91. [↑](#footnote-ref-17)
18. المصدر السابق، ص 98. [↑](#footnote-ref-18)
19. Israel Shahak and Prof Michel Chossudovsky, “Greater Israel”: The Zionist Plan for the Middle East, Global research , 03/03/2013. <https://bit.ly/3tmWtPD> [↑](#footnote-ref-19)
20. المصدر السابق [↑](#footnote-ref-20)
21. المصدر السايق [↑](#footnote-ref-21)
22. عيساوة امنة، الدور الإقليمي الإيراني في النظام الشرق اوسطي بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، 2010، ص44. [↑](#footnote-ref-22)
23. المصدر السايق، ص59. [↑](#footnote-ref-23)
24. المصدر السايق، ص60. [↑](#footnote-ref-24)
25. Mahdi Darius Nazemroaya, Plans for Redrawing the Middle East: The Project for a “New Middle East”, globalresearch, 14/03/2020. <https://bit.ly/3nbHSW8> [↑](#footnote-ref-25)
26. Shira Efron, The future of Israeli Turkish relations, Rand, USA, 2018.p5-10 [↑](#footnote-ref-26)
27. Turkey appoints ambassador to Israel after two years: Report, Al Jazeera, 14/12/2020

    <https://bit.ly/2X58e1h> [↑](#footnote-ref-27)
28. لقاء مكي، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، ط1، 2012، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ص343-347. [↑](#footnote-ref-28)
29. سليمان، يمني، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2016 [↑](#footnote-ref-29)
30. عنبري، صابر، استراتيجية ترامب في مواجهة إيران.. الشكل والمضمون، الجزيرة نت، بتاريخ 15/10/2017، على الرابط التالي: <https://goo.gl/JRHCkB> [↑](#footnote-ref-30)
31. Israel-Iran conflict to be major Middle East issue in 2020, DW, 2/01/2020

    <https://bit.ly/3yNtS7a> [↑](#footnote-ref-31)